http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1501) السنة السادسة ـ الخميس (7) ايار 2009

كتابة على الحيطان

خذوا النصف لكم !

عامر القيسي

كل التحقيقات الصحفية التي اجريناها عن حزام البؤس والفقر المحيط بالعاصمة ،هي مناطق ومدن خارج الرؤية الرسمية حقيقة ، وكأنما كتب على هؤلاء الفقراء ان يكونوا دائما تحت خط ومعايير الخدمات في افقر بلد في العالم . والمثير في الامر ان المجالس البلدية المنتخبة في مدن البؤس هذه ، لايتورعون عن الحديث عن انجازات فخمة ، من طراز تبليط شارع طوله نصف كيلو متر في الوقت الذي تفتك فيه المياه الملوثة بحياة الاطفال والكبار على حد سواء .والمؤسسات المختصة بمعالجة البنى التحتية في هذه المناطق يتراشقون تحميل المسؤولية على صفحات الجرائد والفضائيات والاجتماعات العلنية منها والسرية .

الغريب في الامر ان بعض المعالجات لاتحتاج الى عباقرة ولا الى اموال طائلة من الدول المانحة او غيرها .والا ماذا يعني ان تبقى نوافذ مدرسة ابتدائية بلا زجاج في الشتاء البارد والصيف اللاهب لسنة دراسية كاملة ، ماذ نسمي بقاء حفرة في وسط شارع يمر بها أعضاء مجلس بلدي واعضاء مجلس محافظة ونواب في مجلس النواب المقر ، ومع ذلك تبقى الحفرة ابدية صامدة معاندة انشغال المسؤولين بالقضايا الكبرى التي تهم مستقبل الوطن وتأريخه واجياله القادمة (ليكن الله في عونهم) . ماذا نسمي ان تكون مدينه كالحرية بكثافتها السكانية وامراضها المنتشرة ، معتمدة على مستوصف بائس ، المحظوظ فيه من يحصل على اقراص الصداع ؟ ماذا يعني ان تقف عاجزا عن حلول لمشكلات صغيرة جدا ، يطرح حلولها المواطن يوميا في سيارات الكيا والمقاهي والجلسات العائلية ، في حين ينعقد لحل المشكلة المعنية ، مؤتمر له اول وليس له آخر بخبرائه ومحلليه واصحاب الحل والربط والمطلعين على الشأن العراقي ، ليخرجوا في محصلة الأمر بجملة من التوصيات المصاغة بلغة ركيكة ، فيما تبقى الحفرة في مكانها والمدرسة بلا زجاجها والمياه على تلوثها والمستوصف الصحي على معاناته من انعدام الادوية الضرورية لعلاج الاطفال على اقل تقدير .

يقول ماركيز الروائي الكولومبي في احد لقاءاته الصحفية (الواقع اغرب من الخيال)،وهذا مايحدث عندنا بالكمال والتمام . مجالس بلدية كثيرة الكلام قليلة العمل ،مجالس محافظات يتصارعون على لون الكرسي وحجمه وامتيازاته وطائفته ، اعضاء مجلس نواب غارقون في المحاصصة وكأنها قدرهم السياسي الوحيد ،او كانها الآلية الوحيدة التي تتيح لهم البقاء في المكان الذي هم فيه الآن، مشاكل بلا حلول من كهرباء وماء وواقع صحي وآخرى تربوية واجتماعية يعاني منها المواطن منذ ان يواجه فجر يومه ذاهبا الى عمله .

لن نتكلم عن الاعمال الاستراتيجية فهذه قضية لانفقه بها كثيرا ولا نعرف متى تبدأ ومتى تنتهي . نحن نتحدث عن خدمات صغيره جدا ، قدر احلام المواطن العراقي الفقير والبسيط ، خدمات تستطيع ان تقوم بها منظمات خيرية عراقية او عربية او دولية .

حتى قضية الفساد الاداري كانت ستكون مقبولة الى حد ما لو كانت نصف السرقات تذهب لخدمات المواطن البسيط ، ونيابة عن المواطن ،اقول ، سيسكت عنها لو كان يحصل على الطاقة الكهربائية نصف اليوم ، وسيسكت لو لم تكن معظم مناطق البؤس مازالت تشرب الماء الملوث بالامراض : وكان سيسكت لو ذهب الى مدرسة اولاده ويراها نظيفة واسعة وتوفر فيها نصف المطلوب لعملية تعليمية وتربوية ،كان سيسكت لو وجد في منطقته ناديا رياضيا يجمع الشباب بدل تركهم لاصحاب (الضمائر الشريفة) لاستخدامهم في اعمال ابعد ماتكون عن تفكيرهم ووطنيتهم .

اعطونا النصف وخذوا الباقي حتى نقول فيكم قولا طيبا والسلام عليكم.

مدينة الحرية: مياه آسنة وظلام دامس واكتظاظ سكاني وأحلام مجهضة

> مدينة خارج التأريخ، ذلك هو الانطباع الاول الذي تتركه في ذائقتك البصرية المشاهد الاولى عند مدخل مدينة الحرية المنسية والواقعة على حافات شمال العاصمة . مدينة مكتظة بالنفايات ومجاري المياه الطافحة والمشكلات التي ظلّت عالقة في اذيالها، منذ دقت فيها الطابوقة الاولى في زمن الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم. ومكتظة ايضا بعالم من الفقر والحاجة ، ليس لمتطلبات الحياة العادية من اجل البقاء على قيد الحياة

بغداد / ايناس طارق

تصوير / مهدي الخالدي

، وانما لكل المتطلبات التي يمكن ان يتخيلها من يحلم بحياة نصف متحضرة ونصف منتمية الى القرن الواحد والعشرين ، في بلد يحسده الجميع على انه يعيش فوق بحيرة من النفط ، فيما يغرق فقراء هذا العراق بالمياه الآسنة والظلام وانعدام الكهرباء والامراض التي تباع ادويتها في صيدليات الارصفة ! هكذا استغرق وقوفنا في السيطرة الامنية الموجودة امام المدخل الرئيسي المؤدي الى شارع مدينة الحرية اكثرمن نصف ساعة ، وبعد ان اجتزنا السيطرة توجهنا الى مقر السرية الاولى للجيش العراقي لمساعدتنا في انجاز مهمة التحقيق الصحفي عن المدينة المكتظة بالسكان والفاقدة الى ابسط الخدمات. وهو مايبدو جليا منذ الوهلة الاولى لدخولك المدينة وتجولك في شوارعها وازقتها الضيقة وقصص اهلها الغريبة.

الوضع الأمني

في البداية كان من الصعب لقاء المسؤولين العسكريين بسبب اجتماعهم مع قيادات القوات الامنية المنتشرة في المدينة بكثافة ، وأثناء ذلك سمح لنا الرائد حسين عذاب بالحديث معه حول بعض النقاط الرئيسية، خصوصا ما يتعلق بالجانب الامني، والانتشار المكثف لقوات الجيش والشرطة. فالخطوط العريضة لنجاح خطة فرض القانون واضحة الملامح عند مداخل المدينة الاربعة بعد ان كان الدخول الى المدينة يمر عبر مدخل واحد فقط . واوضح عذاب ، امر السرية الاولى المكلفة بحماية المدينة : لقد تغير الوضع الامني كثيرا عما كان عليه في عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ .فقد عقدنا في الفترة الاخيرة عدة لقاءات مع قائد عمليات بغداد و رجال الدين الذين يمثلون(ديواني الوقفين السني والشيعي) وممثل عن وزارة المهاجرين والمهجرين واتفقنا على ضرورة تعويض العوائل المهجرة . وأكد عذاب: لم تتعرض العوائل المهجرة التي عادت الى المدينة والبالغ عددها ٦٣٠ الى اي تهديد امني او محاولات اعتداءات وأنا مسؤول عن كلامي هذا . وتم تنفيذ الامر الديواني رقم (١٠١) باخراج المتجاوزين على املاك المهجرين خلال مدة اسبوع او اسبوعين فقط ، لكننا لاننكر وجود صعوبات تواجه القوات الامنية، لان الجميع يعلم ماواجهته مدينة الحرية من اضطرابات امنية كبيرة ، وهذا ما انعكس على الطابع الامني والعسكري الواضح في المنطقة .وهناك عدة عمليات عسكرية تقوم بها قوات الجيش بالتعاون مع المواطنين للقبض على الارهابيين وعصابات السرقة التي تركت نشاطها السابق ولجأت الى السرقة لاشباع رغبات شاذة. ومنذ شهر تموز ٢٠٠٨ قمنا بمداهمات في المدينة استطعنا من خلالها القبض على الكثير من المجرمين والارهابيين والخارجين عن القانون، وسيحالون الى القضاء حسب الاصول .وقد طلب اهالي منطقة الحرية منع الدراجات النارية من السير في المنطقة لان البعض، للاسف يستخدمها لارتكاب اعمال اجرامية وسرقة المواطنين. وتم حجز ١٥٠ دراجة نارية مقابل حصول اصحابها على وصولات استلام. وقد اتخذنا عدة اجراءات امنية لحماية الاسواق وذلك بعدم السماح بوقوف السيارات عشوائياً. وفيما يخص عودة العوائل المهجرة يؤكد عذاب ان اغلب العوائل متضررة ولم تحصل على اي تعويضات مالية، وقدمنا عدة كشوفات جراء ذلك ولكن لافائدة. وبدورنا عقدنا عدة اجتماعات مع شيوخ العشائر وشكلنا(لجنة حل النزاعات) لتسهيل مهمة عودة المهجرين الى مناطق سكناهم . وهذا الاتصال المباشر بالاشراف الامني والعلاقات الطيبة مع المواطنين ساعدنا في الوقت الحاضر على فتح اربعة منافذ دخول لمنطقة الحرية وهي منفذ منطقة الكاظمية، حي العدل، الشعلة، اضافة الى مدخل الحرية الرئيسي. وجميع هذه المنافذ مؤمنة عن طريق استخدام اجهزة حديثة للتفتيش، وبخصوص العوائل التي تلهفا بعودتهم عندما استقبلوا عودتهم بالزغاريد والحلويات وتقديم الطعام لمدة اسبوع كامل حتى استقر وضع عائلة الحاج أبي مرتضى. وهذا نموذج لقصة تكررت مئات المرات في هذه المنطقة التي حاول الطائفيون من كل حدب وصوب ان يفتتوا نسيجها العائلي والاجتماعي.

واقع أسواق المدينة

تجولنا في السوق بصحبة قوات من الجيش بعد اصرار الملازم علي حسين على ذلك لتوفير الامن لفريقنا الصحفي. منظر سوق الحرية الكبير الممتد بين محلتين ،يثير الشفقة حقا فالتجاوزات من قبل اصحاب المحلات والبسطات على طول الطريق والرصيف ، مما شكل سببا لفوضى الازدحامات في السوق وعلى الشارع الرئيسي الداخلي للمنطقة. وما سمعناه من تبريرات من اصحاب المحال التجارية المطلة على الشارع العام والشوارع الفرعية لايبشر بالخير. مهند صاحب مطعم الشمري ، يعلم بانه متجاوز على الشارع العام ولكن يتساءل: متى يتم رفع هذه التجاوزات من قبل امانة بغداد ؟ ويطالب مهند الامانة والمجلس البلدي برفع كل التجاوزات دون تمييز بين بسطة وبسطة او محل ومحل، ولكن ان يحاسب محل ويترك الاخر لانه على معرفة او قرابة من اعضاء المجلس البلدي فهذا غير وارد بتاتا وليس عدلا ! بينما علق صلاح بائع (خضرة على الرصيف) لم تعد لحد الآن رغم تحسن الوضع الامني في المنطقة، اكد عذاب ان بعض العوائل لم ترغب بالعودة لاسباب خاصة بها. وليس لتعرضها الى تهديد، انما فضلوا البقاء في المناطق الجديدة التي هاجروا اليها واجّروا منازلهم السابقة بحريتهم واختيارهم دون اية ضغوطات .

عائلة الحاج ابو مرتضى، عادت من التهجير قبل ستة أشهر وكانوا قد تركوا المنطقة بسبب تهديدات وصلت الى حد قتل شقيق الحاج ، الذي كان يعلق صورة مؤطرة بوشاح اسود للشهيد ، الذي يقول الحاج عنه ، انه لايعلم سبب قتله ، فلم يكن منتميا الى اي جماعة سياسية او عسكرية. ولم يكن موظفا كبيرا في الحكومة ولم يكن عسكريا ولم يؤذ احدا في المنطقة . ويضيف الحاج : ولكن الان الظروف الامنية ساعدتنا بالعودة. وبحماية الجيش العراقي الذي الذي قدم لنا التسهيلات والتطمينات بعدم التعرض لنا مستقبلا من اية جهة، وهذا ماحصل فعلا. ولم يكن جيران واصدقاء عائلة الحاج اقل ساكنا وكأن الامر لايعنيهم من بعيد او قريب .

كراج النقل الخاص

راينا مجموعة كبيرة من سيارات الكيا وسيارات الاجرة الصغيرة تقف في الشارع المؤدي الى الخروج من المدخل الرئيسي للمدينة ،وبدورنا سألنا الملازم علي حسين ،يعتبر هذا الكراج الوحيد الذي يقع وسط هذا السوق الكبير ،وهو يعود الى الشركة العامة للنقل الخاص. تقف فيه مجموعة من الاشخاص يستحصلون مبلغا مقداره ١٠٠٠ دينار من كل سيارة تعمل للاجرة مقابل وصل رسمي ،اما بقية الساحات الخاصة فهي غير رسمية. ويذكر هنا أن الشوارع الداخلية والخارجية للمنطقة تعبة جدا، ومدمرة بصورة لافتة للنظر، اضافة الى ان الفروع الداخلية ظاهرة المجاري للمنازل والمحلات. المظهرلهذه الافرع حدث ولاحرج ، واهالي المحلات السكنية (٤٤٦ و٤٢٦) يؤكدون عدم قيام المجلس البلدي للمنطقة بالتبليط او فرش الاسفلت، مما يجعل الدخول والخروج في اغلب الاحيان صعبا جدا عدا عن صعوبة خروج الاطفال وذهابهم الى المدارس ايام الشتاء بسبب طفح مياه الصرف الصحي. وفي فصل الصيف تشهد هذه المجاري الظاهرة انتشار الذباب والحشرات المختلفة والقطط مما يؤدي الى انتشار الامراض الوبائية . وهناك تاكيد دائم من قبل قوات الجيش العراقي في ومدينة الحرية تضم عددا كبيرا من المدارس منها مدرسة (المجد، العدالة ، حليمة) والكثير من المدارس الاخرى. ولكن الثلاث المدارس المذكورة لاحقا لم يكن حظها جيدا لانها لم تعمر وانما بقيت محطمة الزجاج، والواجهة مدمرة بثقوب الرصاص، والبنى التحتية منتهية الصلاحية .اما المدارس التي كان حظها اوفر، ولها حصة من الاعمار فلم يكن اعمارها يتجاوز اكساء الشبابيك بالزجاج وطلاء الجدران فقط ،اما الانابيب الخاصة بالماء فعلى حالها وهذا الكلام ذكر على لسان الملازم الاول علي حسين وبعض سكان المنطقة.

ملاعب الرياضة

تضم المدينة ثلاثة ملاعب رياضية ،الملعب الخماسي فقط مجهز بتجهيزات الالعاب الرياضية وبعض القاعات لممارسة الرياضة، اما الاثنان الاخران فالأرضية منهما غيرجيدة ولا تصلح ان تكون ملاعب رياضية. وعلى الرغم من اعداد السكان المتزايد والذي يفوق اعداد سكان منطقة الشعلة، لكن لم يتم انشاء اكثر من ثلاثة متنزهات صغيرة لاتفي بحاجة ورغبة الاطفال والذي احتلت بسطته مساحة كبيرة لعرض بضائعه المختلفة من الفاكهة والخضرمتسائلا ايضا: لماذا يأتون علينا ويطلبون رفع التجاوزات؟ ماذا نعمل ونحن اصحاب عوائل بحاجة الى طلبات كثيرة ومختلفة من الاكل والشراب الى مصاريف المدرسة مرورا بالطبيب ؟ لقد مرت شهور طويلة قضيناها بدون عمل، عانينا فيها الجوع والذلة والان تتهمونا بالتجاوز على الرصيف؟

وبينما كنا نتكلم مع المواطنين طلب منا (محمد) وهو صاحب محل لبيع الاجهزة الكهربائية ان نسمع منه ماجرى قبل ايام بشان هذا الموضوع : قبل ايام جاء مجموعة من الاشخاص يمثلون المجلس البلدي لمنطقة الشعلة واحدهم يدعى (.....) طلب منا دفع مبالغ نقدية بدون قطع وصولات بحجة ان المبالغ المستحصلة هي لامانة بغداد. ومن لايدفع يتعرض الى الغرامة وايضا بدون وصل غرامة رسمي. هذه الحالة تتكرر اكثر من مرة وتحدث امام انظار المجلس البلدي للمنطقة دون ان يحركوا المنطقة بقيادة الرائد حسين عذاب امر السرية الاولى على مطالبة المجلس البلدي لمنطقة الشعلة ومدينة الكاظمية بضرورة الاهتمام و شمول مدينة الحرية بالتبليط. لكن ما يحدث ان المجلس البلدي لمدينة الشعلة يصب كل اهتمامه على مدينة الشعلة ويترك مدينة الحرية. والسبب في هذا الاهمال هو عدم فصل المجلس البلدي لمدينة الحرية عن مدينة الشعلة، واضاف امر اللواء ان الاوضاع الامنية المتوترة في المنطقة هي التي جعلت الجيش العراقي وقوات الشرطة مهتمة بظروف المدينة بالتعاون مع المجلس البلدي لمدينة الحرية.

آراء المواطنين

يقول المواطن محروس جبار من سكنة محلة (٤٣٨) يمكنكم رؤية الشوارع الداخلية كيف هي مدمرة ومحفورة من وسط الشارع منذ عام ٢٠٠٧ وحتى هذا الوقت. ولا نحصل من المجلس البلدي غير الوعود التي لاتنفذ. لقد طفح الكيل من هذا الاهمال لمدينة الحرية. وبعد تجاوز هذه المحلة توجهنا الى محلة (٤٢٨) وشاهدنا سيارات تقوم برمي الاسفلت وتبليط الشارع واستطعنا الحديث مع المهندس حيدر المشرف على التنفيذ والعمل حيث قال: لقد تم انجاز نسبة كبيرة من العمل بتبليط شوارع محلة (٤١٦) والتي تقدر كلفتها ٢مليار دينار عراقي ومن يقوم بذلك المجلس البلدي لمدينة الشعلة .

الصغار، فألعابها قليلة جدا وغير مجهزة كبقية المتنزهات الاخرى. وفي يوم زيارتنا الى منطقة الحرية كان سكان المنطقة مستائين كثيرا بسبب انقطاع الماء المتكرر كل يوم واخر، ولااحد يعلم السبب في ذلك. يقول سلمان راضي من سكنة محلة، ٤٣٢، الماء ينقطع يومين بالاسبوع وعندما ياتي لانستطيع الحصول عليه الابعد سحبه بالمضخة (الماطور الكهربائي). ولانعلم الاسباب بينما قال سالم محمد من محلة٤٤٦ كلما نراجع المجلس البلدي لمنطقة الحرية، ونقدم شكوى ضد انقطاع الماء المستمر، يجيبوننا بان الامر لاعلاقة لهم به وانما اسالة الماء.

المراكز الصحية

يقول المواطن ساهر عودة من محلة ٤٣٨ ان الكثافة السكانية لمدينة الحرية كبيرة جدا

ولايوجد فيها غير مركزصحي واحد (مركز الحرية الصحي). هو الفاقد لكل المستلزمات والشروط الصحية، اضافة الى ارتفاع اسعار تذاكر العلاج ،وبدون صرف الادوية انما فقط انواع معينة من المسكنات. وغالبية المرضى المراجعين هم من سكنة المحال السكنية الباقية وتشمل ٤٢٨ ،٤٣٦،٤٢٦، ٤١٦، ٤٢٤، ٤٣٢ . اليس من الضروري انشاء مراكز صحية اخرى او مستشفى لسكان المدينة؟ وحملنا ما في جعبتنا من اسئلة وتوجهنا الى المجلس البلدي لمنطقة الحرية الذي مع الاسف لم يكن متواجدا مما اضطررنا الى الاتصال الهاتفي برئيس المجلس البلدي لمدينة الحرية عدنان القريشي، للاستفسار عن عدة نقاط اساسية تتعلق بمدينة الحرية. ما يخص صحة المعلومات التي تؤكد ان المجلس البلدي لمدينة الشعلة يقدم الاموال الخاصة باعمار المدينة وتبليط الشوارع، والمجلس البلدي لمدينة الحرية هو من يقوم بصرف تلك الاموال .

قال عدنان القريشي هذا الكلام غير صحيح. والمجلس البلدي لمدينة الحرية هو فقط جهة رقابية اشرافية على تنفيذ المشاريع لاغير. وفيما يخص تبليط الشوارع والارصفة كل محلة نراها تحتاج الى التبليط والتطوير نقدم المقترحات وحسب الاهمية. وكل عام نقدم المشاريع المهمة والتي تحتل الاولوية في سرعة الانجاز .وهناك عدة محلات تم انجاز التبليط فيها ومن هذه المحلات السكنية ،٤٣٢، ٤٣٦ ،٤١٦،٤٢٤ اضافة الى استمرار عملنا في انجاز الاعمال الاخرى.

اما بالنسبة الى اعمار المدارس استدرك القريشي بالقول :هناك جهات عديدة تقوم باعمار المدارس منها مجلس محافظة بغداد ، منظمات دولية ، والاعمار يكون حسب الاولوية للمدارس المتضررة. والامر يحتاج الى التأني والتريث في الانجاز لنضمن صحة العمل.

اما بخصوص اسباب انقطاع الماء المستمر عن المنطقة، فادى الى تذمر المواطنين الساكنين فيها، وعلق القريشي عن هذه الظاهرة بالقول: مسالة انقطاع الماء هي مشكلة عامة تشمل جميع العراق وليس فقط منطقة الحرية. وهذا الامر يعود الى اسالة الماء وليس المجلس البلدي. كل ما نستطيع تقديمه هو مد شبكة انابيب جديدة. وقد فعلنا ذلك في محلة ٤٢٦ ،٤٢٨. واشار عدنان القريشي رئيس المجلس البلدي ان تذمر المواطنين من ارتفاع اسعار النفط والغاز التي تباع لهم من قبل المجلس المحلي لمدينة الحرية والتي لاتتجاوز٥،٥٠٠دينار فقط، لماذا لايحسب المواطن اجور النقل وأجرة العمال التي لاتضاهي الالف دينار ، لان المبلغ الرسمي لايتجاوز ٤،٥٠٠دينار.اما ما يخص المتجاوزين في الاسواق والشوارع العامة، أشار القريشي الى ان الشباب العاطل عن العمل يملؤون الشوارع والمقاهي، فما العمل اذا ارادو فتح(بسطية) على الارصفة. وعلى الرغم من ذلك نقوم بجولة ميدانية بين الحين والاخر لرفع تلك التجاوزات. وهناك اتفاقات عديدة مع منظمات دولية عاملة في مجال حقوق الانسان لتوفير فرص عمل للشباب العاطلين. وبخصوص العوائل المهجرة العائدة الى مدينة الحرية علق القريشي بالقول: هناك مايقارب ٧٣٥ عائلة (نازحين) الى مدينة الحرية من مناطق بغداد المختلفة، قام المجلس البلدي بتقديم الخدمات كافة أضافة الى تقديم اوراقهم الاصولية الى وزارة الهجرة والمهجرين للحصول على مساعدات مالية، والحصول على المنحة المالية البالغة مليون دينار عراقي للعوائل المهجرة. والكثير منهم استلم هذا المبلغ.وحاليا يقوم المجلس البلدي باجراء احصائية للوقوف على عدد الارامل الساكنين في المنطقة من اجل شمولهم برواتب وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. وأخيرا قال عدنان القريشي رئيس المجلس البلدي لمنطقة الحرية : نتمنى ان تأخذ منطقة الحرية استحقاقها من جوانب الاعمار كافة كمشاريع التربية، الصحة، الخدمات، وغيرها. فالمدينة بحاجة الى انشاء مستشفى، وحاليا تم استحصال اكثر من نسبة ٧٠٪ من الموافقات الاصولية لانشاء هذا المستشفى الذي يكون بسعة ٤٠٠ سرير. هذا المستشفى سوف يكون افضل انجاز يقدم لاهالي منطقة الحرية.